# رؤيتان في دراسة التاريخ

## دراسة في كتاب (حياة محمد) لمحمد حسين هيكل (نموذجاً)

م.م عبد الرحيم أحمد الحصيني
كلية الآداب/ قسم القران الكريم جامعة ذي قار thiqaruni.org

خلاصة البحث

توزن الدراسات على ضوء مناهجها وقراءة التاريخ برؤية معيارية ومنهجية لفرز الأحداث والوقائع وهذا يرتقي بالبحث إلى مستوى العطاء والتنمية ، وبالتالي الإنتقال بالكتابة من المستوى السردي التقليدي الذي يعتمد النقل الإخباري إلى مستوى التحليل التاريخي المنهجي ، ومن ثم إلى فلسفة التاريخ التي تُعنى بإكتشاف السنن وكيفية عملها ، ومراحل التاريخ البشري ، وعلل تطوره ، وهذه المستويات قد اعتنى بها القرآن الكريم ، وذلك لترابطها وعدم الإستغناء عن واحد منها ، ولمّا كان التاريخ في منظوره الإسلامي له ما يميزة عن المدارس الأخرى ، إذ يصطبغ التاريخ إسلامياً بالبعد الديني ، ويرى الحضور الفاعل للبعد المعنوي في حركة الإنسان ، وتكامل مسيرته ، ولا يمكن النظر إلى التاريخ والتعامل معه بمعزل عن الدين ، لأن التاريخ هنا تاريخ رسالة ، لا تاريخ حضارة ،أو تاريخ قبيلة ،أو تاريخ حكومات ،أو أبطال .

التاريخ يكشف عن مواقف الأمة ومسيرتها وثقافتها وفلسفتها نحو الكون والحياة ، وبهذا يكون التاريخ كاشفاً عن طاقات الأمة والمواقف التي ساهمت في صيرورتها وبلورة هويتها لذا ينبغي النظر إليها بدقة ، وإمعان ، وإلتقاط ما هو مشرق ، بغية الإهتداء به ، ودراسة الهزائم وفترات الضعف بهدف تجنبها ، فتشكل المواقف على اختلافها دروساً ، للحاضر على أمل أن يكون المستقبل وفق الفرز الواعي للتاريخ أكثر إشراقاً وكمالاً.

وفق هذا التأسيس تأتي سيرة النبي (ص) ، كأحد المقاطع التاريخية المهمة في تاريخ الأمة ،لأنها انتقلت بها إلى واقع جديد ، أطّر الهوية ومنحها ولادة جديدة ، الأمر الذي يدعونا لدراستها بدقة ووفق المنهج الذي أسسه الوحي ، لأن قراءة التاريخ والسيرة بمنهج الآخر التجريبي أوغيره ، يؤدي إلى التشويش والتقاطع بين الأمة وتاريخها وحتى مستقبلها .

من هنا دُفعنا إلى دراسة كتاب حياة محمد للدكتور محمد حسين هيكل الذي طُبع أكثر من ثلاث عشرة طبعة وهو من الكتب المفضلة في عالمنا الإسلامي حول السيرة ، ولكني رأيت منهج الدكتور قد نأى بالسيرة إلى صياغات لاتنسجم مع أهداف صاحب السيرة ، وإنّ منهجه كان متأثراً بالمناهج الغربية ، وأسقط ذوقه ولوى أعناق كثير من الحوادث التاريخية حيث يريد هو ، أو تريد عقيدته .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

لم يكن الاهتمام بكتابة السيرة النبوية وليد هذا العصر، وإنما اعتنى المسلمون بها منذ وقت مبكر ، ولم يقف قرار حظر التدوين الشهير الصادر عن الخليفة الاول والثاني وغيرهما، الّذي يتضمن المنع عن كتابة السيرة ايضا، عائقاً امام التحديث بها وتدوينها (١).

فلو اردنا أن نؤرخ اهتمامات الصحابة بالسيرة النبوية لوجدنا مصحف الأمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)(٢) يمثل باكورة للتدوين، وإن كان بعنوانه لا ينطبق على السيرة وانما كان تسجيلاً لأسباب النزول وتفسيراً لآيات القرآن الكريم ، وبعض الأحداث والوقائع التي كانت تستحق التسجيل .

بداية تدوين السيرة :

وإذا اختار البعض تداول السيرة عِبر المشافهة والحكاية في الفترة القريبة من عصر الرسول (صلى الله عليه وآله)، إلا أن البعض ترك لنا صُحفاً سجلت بعض الجوانب المهمة من حياة النبي (صلى الله عليه وآله)، كسهل بن ابي خيثمة الأنصاري (٦٠هـ)

وابن عباس (٦٨هـ) وسعيد بن سعد بن عبادة ،وسعيد بن المسيب (٩٤هـ).وعروة بن الزبير بن العوام(٩٤هـ).وإبان بن عثمان (١٠٥هـ) (٣).

وشكلت تلك الجهود أرضية لمرحلة أخرى ،فقد سجل أشهر تلاميذ الزهري محمد بن شهاب (١٢٤هـ)وهو محمد بن إسحاق المدني ألمطلبي (١٥٢هـ) كتابه المعروف بسيرة ابن إسحاق(٤) ليكون مادة لكتابات أخرى لاحقة ،وجاء من بعده محمد بن عمر الواقدي(٢٠٧هـ)وابن سعد البصري (٢٣٠هـ)على نفس الخط .

مستويات كتابة السيرة :

وبعد هذه الحقبة الزمنية ارتقت الكتابة حول السيرة إلى اهتمامات أوسع،حيث شققت موضوعات عنها مفصّلة ضمن أبواب خاصة من قبيل دلائل النبوة (٥)، وسنن النبي (صلى الله عليه وآله)، وشمائله(٦) ، ونظم السيرة شعراً أو غزوات الرسول أو أساليب دعوته(٧).

فإذا امتازت الكتابة في هذه المرحلة بطابعها السردي الذي يعتمد النقل الروائي ،فقد لحقتها مستويات أُخرى من الكتابة ،كالبحث التاريخي التحليلي ، الذي يعنى بتحليل الحوادث التاريخية من خلال التعرف على أسبابها واكتشاف آثارها ونتائجها بالإضافة إلى الاهتمام بمدى ارتباطها بالحوادث التي تعاصرها.

ثُمَ أخذت الكتابة مستوى ثالثاً كالبحث التاريخي الفلسفي (فلسفة التاريخ)،الذي يعتني باكتشاف السنن التي تتحكم بالتاريخ وكيفية عملها ومراحل التاريخ البشري وعلل تطوره ، وهذه المستويات قد اعتنى بها القران الكريم وذلك لترابطها وعدم الاستغناء عن واحد منها(٨).

أساليب كتابة السيرة :

أما الأساليب التي كتبت بها السيرة فهي متعددة ، فقد سلك البعض من مؤرخي السيرة الأسلوب الأدبي (٩) ،ومنهم الأسلوب العلمي ،ككتاب حياة محمد لهيكل ،ومنهم من سعى لكتابتها بالأسلوب الحركي(١٠) .

ولكن تبقى كل تلك الاهتمامات ناشئة عن دافع حب المعرفة والإطلاع على سيرة النبي (صلى الله عليه وآله)، والحرص على معرفة الدين.

دور السيرة في بناء المجتمع الإسلامي :

فلمّا كان القرآن الكريم يمثل البذرة الأُولى لبناء المجتمع ،وتغيير الإنسان وهدايته ، تأتي سيرة النبي (صلى الله عليه وآله)،وخطواته الإلهية المسددة لتشكل البذرة الثانية لبناء المجتمع ، ولذا يأتي الإطلاع عليها مصدراً لمعرفة الدين وعنصراً مقوما لبناء المجتمع الإسلامي السليم ،لتمتعها بقابلية تمد المسلم بالتجارب النبوية، حين استنطاقها لأنها تختزن في داخلها تجربة الوحي الذي يؤمّن لمشاريعنا الاصالة والمواكبة والتغيير في حياتنا المعاصرة (١١).

الدس في كتب السيرة :

ولكن ليس الإطلاع على السيرة بما هية مدونة له كل التأثير الإيجابي على حياة المسلمين ، وذلك لأنها قد حملت بين سطورها جهوداً يُشك في منطلقاتها ، فقد دُس في السيرة من الروايات المحرفة والإسرائيليات ما ليس من السيرة ،مع كونها مريبة في أهدافها ، لأن السيرة وإنْ نقلها علماؤنا الأجلاء إلا أنها لم ترتق إلى مستوى القرآن ،الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ... حتى قال ابن خلدون (لم يؤمن فيها العثور ومزلة القدم و الحيد عن جادة الصدق)، وكثيراً ما وقع للمؤلفين والمفسرين وأئمة النقل المغالطة في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا وسمينا ،ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار ،فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط (١٢).

في الوقت الذي تعيش فيه الأمة أعلى مراحل صحوتها ووعيها حيث اكتسحت بفعل حركتها وأنشطتها قلاع الظالمين وهزت عروشهم وأرقت نفوسهم حتى دفعت بهم إلى أن يحشدوا كل قواهم ويوظفوا أخر ما أنتجه العقل الإنساني من ابتكارات علمية وتقنية فنية كان من ألازم توجيهها وتسخيرها لصالح الإنسانية لكنها وُظّفت من اجل الحيلولة دون تنامي الصحوة الإسلامية ،إذ خلصوا إلى أن الجبهة

الثقافية هي السر في تنامي وقوة هذه الصحوة ،لذا عمدوا إلى التشكيك فيها وإثارة الشبهات حولها واستهدافها ضمن برنامج مدروس من شأنه أن يكون مانعاً من الإرتباط بالثقافة الإسلامية .فبعد أن عجزوا عن تمرير مخططاتهم القديمة والحديثة باتجاه القرآن توجهوا نحو تاريخ الأمة المسلمة لأهميته باعتباره عنصرا مقوما في نهضة الأمة وباعثا لكمالها وواقيا لها من الإنحراف .

من هنا تأتي الكتابة حول السيرة والإطلاع عليها بعين إسلامية أصيلة ومسئولة لأجل أن تحصل الأمة عبر إطلاعها على أغنى التجارب وأثرى الدروس .

يُعرف التاريخ بشكل عام على انه الترجمة الواقعية لمسيرة الأمة الحاوية للمواقف والثقافة والفلسفة التي تتبناها الأمة نحو الكون والحياة ، كما يعني التاريخ الضارب في عمق المجتمع البشري مجمعة من الظواهر والتضحيات والإبداعات في حقول الحياة المختلفة .

وبهذا يكون التاريخ كاشفاً عن طاقات الأمة والمواقف التي ساهمت في صيرورتها و هويتها ،لذا ينبغي النظر إليه بدقة وإمعان لالتقاط ما هو مشرق من حياتها بغية الاهتداء به ،ودراسة الهزائم والضعف الذي يتخلل حياتها ،لتُشكل المواقف التي اختلافها دروس للحاضر على أمل أن يكون المستقبل وفق هذا الفرز الواعي أكثر إشراقا وكمالاً .

وهذا التعريف للتاريخ لا إشكال فيه من الناحية العامة ،و بإمكان الدارس أن يطبقه في دراسته التاريخية مهما اختلفت رؤاه ومهما اختلف المجتمع الذي كان موضوع لبحثه .

ولكن التاريخ في منظوره الإسلامي له ما يميزه عن المدارس الأخرى ،إذ يصطبغ التاريخ أسلاميا بالبعد الديني ، أو العقائدي ويرى الحضور الفاعل للبعد المعنوي في حركة الإنسان وتكامل مسيرته . ولايمكن النظر إلى التاريخ والتعامل معه والاستفادة من دروسه وعبره بمعزل عن الدين والعقيدة (١٣) ، لأن التاريخ هنا تاريخ رسالة لا تاريخ قبيلة، أو تاريخ حكومات،أو أبطال ، والدولة لا تمثل سوى مفردة من مفردات التاريخ، نعم، ينظر المنهج الإسلامي إلى الحكومة لا باعتبارها ذات قيمة بحد رأسها،وإنما باعتبارها أداة و خلافة ربانية يتم بواسطتها تحقيق العدالة بين الناس :{يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ولاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ}(١٤) ، وقول الإمام أمير المؤمنين:يا ابن عباس ما قيمة هذا النعل ؟ قال لا قيمة له .قال:والله لهي أحب إليَّ من إمرتكم،إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً (١٥).

والتاريخ وفق هذا التصوير انطلق بكل جوانبه على يد أول نبي وامتدت حلقاته عبر سلسلة الأنبياء مصحوباً برسالاتهم ،حتى مجيء الرسالة الخاتمة للرسالات السماوية .

ولما كان من الثابت أن لخلق الإنسان في هذا الوجود هدفاً ربانياً تتحرك البشرية باتجاهه:{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ} (١٦)، وسيتم تحقيق ذلك الهدف في عقيدتنا على يد ربانية محمدية تتجسد في خاتم الأوصياء المهدي بن الحسن العسكري (عليه السلام) وعلى يده ستنتصر رسالة الإسلام في العالم الإنساني (١٧). إذاً فللتاريخ مستقبل مشرق من خلال رسالة الإسلام العالمية .

ولو لاحظنا التاريخ حين يعرضه القرآن الكريم نجده يلقي ضوءه على كل المسيرة الإنسانية ، ويسلط النظر على أهم مفاصلها الحيوية ،ويصور موقف الأمة وتاريخها انطلاقاً من كون المحور في التاريخ هو حركة الأنبياء والمصلحين الرساليين ،لأنهم قد مثلوا الإرادة الإلهية في مجال هداية البشر إلى طريق الكمال الإنساني المنشود.

ونجد القرآن يفرز المواقف البشرية ويصنف الشعوب والأمم على أساس موالاتها واقترابها من خط السماء ،فتنزل البركات وتنعم الأمم بالأمان والرخاء تبعاً لاستقامتها وهدايتها ، ويعرض القرآن صوراً لدمار الشعوب وسقوط الحضارات تبعاً لطغيانها وتمردها على خط السماء (١٨).

نعم،نجد في قصص القرآن الكريم عرضاً لصور وأحداث جانبية فهذه ترشحات و فيوضات إلهية تُشكل بمثابة خطوط عامة تساهم في الوعي والتثقيف للأمة ،فقصة يوسف (عليه السلام) وإن كان البطل فيها النبي وهو المحور الأساس ، إلا أنه تبرز فيها شخوص أُخرى تنفصل أو تلتنم مع محور التوحيد ، كالنسوة والعزيز وامرأته وأصحاب السجن وإخوة يوسف حين ابتعدوا بادئ الأمر وكادوا ليوسف ،إلا أنهم اقتربوا في نهاية القصة من يوسف وأعلنوا توبتهم قائلين:{اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ} (١٩)

ويلمح القرآن الكريم وهو بصدد العرض لقصة يوسف الى ان السلطة لا تمثل سوى أداة لتحقيق العدالة ، حيث قال النبي :{قال اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم}(٢٠)

وهكذا يعرض القرآن لقصة موسى (ع) في الوقت الذي تبرز معه شخوص اخرى كبني إسرائيل أنفسهم حين اسلموا الى رسالته أو الإمرأتين اللتين تذودان بنتي شعيب . وهارون والسامري ، وبعد ذلك قارون وقبل ذلك طالوت وجالوت وهكذا بلقيس مع سليمان (ع) .

كما لايقتصر الطرح القرآني على خط التوحيد عبر رمزه والمحرك لتاريخه وهم الأنبياء بل نجده يعرض

مرة أخرى لحياة الأمة ومسيرتها ووعيها وحركتها وخياراتها :{خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم } (٢١) ، وهكذا القرية التي كانت حاضرة البحر وما فيها من دعاة الخير وصراعهم مع اهل الشر في كل هذه المشاهد وغيرها نجد قيم السماء هي الحاكمة في حقل التاريخ ، والأنبياء هم الرموز لحركة التوحيد واحياناً يجعلهم النص وراء الحوادث الصانعة للتاريخ.

فالقرآن إذاً يؤكد المعيار في الفرز التاريخي ، ولايلحظ المعايير الأخرى كضخامة الشعوب وسعتها ، أو تقدمها التكنولوجي :{ إرمَ ذاتِ العمادِ * التي لم يخلق مثلها في البلاد * وثمود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذي الأوتاد * الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد * فصب عليهم ربك سوط عذاب * إن ربك لبالمرصاد} (٢٢)ولا عبرة في تشييد البناء الحضاري بإطاره المادي فقط ، وإنما تحاكم الأمم والشعوب وتسقط حضارات بأكملها على أساس مواقفها من الرسالات وقيم السماء .

فالنبي إبراهيم (ع) كان أمة وإن كان فرداً من حيث العدد، والأمة التي عاصرته شكلت موقفاً إزاءه لكن الفرز القرآني تم بين جبهتين : النبي (ع) وأمته ، ولا وزن للكثرة ولا للقلة (٢٣) ، فالتاريخ عبر تصويره للماضي يمنح القدرة للأمة الإسلامية بأن تراقب حركتها في الحاضر فيما إذا كانت قريبة من خط التوحيد أم لا، ويوقفها على أسباب النصر والهزيمة ومن خلال زوايا التاريخ الإسلامي يستطيع أن يربط الباحث حاضر الأمة ومواقفها بالماضي ليقارن ويترصد العوائق والعقبات التي تحول دون المسيرة المطلوبة .

فالعقيدة إذاً تفسر حركة التاريخ على أساس حركة محور التوحيد ، الذي يكون هو بنفسه دافعاً ومحرضاً للجماعات الموحدة ، في أن تستهدف مظاهر الفساد والشرك بغية تحريرها وإزالتها من صفحة التاريخ (٢٤).

فإذا كان التاريخ ينبغي أن يلاحظ و يقرأ بل ويفرز على أساس البعد العقائدي ، أو قل على أساس حركة التوحيد التي جسدها الأنبياء بحركاتهم ضد مظاهر الطغيان والشرك والفساد ، إذا فمواقف البشرية إزاء رسالة التوحيد لابد من تقسيمها إلى موقفين متقاطعين لا توليف بينهما ولا خلط و لا دمج بين الشرك والتوحيد (٢٥) :

الأول : مواقف البشرية وانضمامها إلى صف التوحيد وتضحياتها ومواقفها في خضم هذا الخط (٢٦).

الثاني : موقف البشرية المضاد لحركة الأنبياء (٢٧).

لكن الموقف الأول انقسم هو ألآخر على نفسه (٢٨) . فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من جانبه بين مقاصد الشريعة وبلغ ما كلفه الوحي (٢٩) وطبق ما نادى به على أكمل وجه وبهذا التبليغ تمت الحجة على الخلق ، وقال المولى سبحانه : {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً } (٣٠) ،يعني بالخلافة الإلهية الإسلامية قد تمت النعمة وبها ستتم أركان الهداية للناس .

فالخلافة من بعده (صلى الله عليه وآله وسلم) نقلت لعلي (عليه السلام) وبتعبير آخر أنّ عنصر الهداية قد تكامل ضمن خط العصمة الهادي للأمة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالإضافة إلى الثقل الأكبر – أعني كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (٣١).

فتاريخ الإسلام الذي بدأ برسالة وببعثة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، واكتملت مقومات الحجة بوجود الثقلين ، بعد أن كان الحجة على الناس الكتاب والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، الأمر الذي كان على أساسه يفرز القرآن حوادث التاريخ والوقائع التي عاصره النبي وصحبه الأخيار. وهناك مصاديق كثيرة للفرز، حتى قال عبد الله بن عمر :والله ما كنا نعرف المنافقين في زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا ببغضهم علياً (٣٢).

وقال الله سبحانه:{مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ} (٣٣) فالقرب من الرسولَ والذوبان بمنهجه والاستماع لقوله وتطبيق أوامره والإقتداء بسنته (٣٤) وعدم التشكيك في خطواته، فكراً وعاطفة وسلوكاً هو المُعيِّن لمواقف الآخرين ، ولذا كان القرآن يصنف الأُمة على هذا الأساس ففئة تضحي وفئة تنافق وفئة تتخندق في صف آخر كأصحاب مسجد ضرار و كجماعة عبد الله بن أُبي .

وإذا كان الفرز القرآني للجماعة الإسلامية يتم على أساس مواقفها من الرسالة والرسول والقيم التي جاء بها الوحي (٣٥)، فينبغي أن يستمر الفرز لمسيرة الأمة على نفس الوتيرة والمنهج بناءً لإستمرارية التاريخ الإسلامي الممتد بامتداد خط العصمة، باعتبار إن خط العصمة يمثل روح التاريخ وطبيعة حركته، فيما بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى ظهور خاتم الأوصياء (٣٦) المعصومين أعني محمد المهدي بن الحسن العسكري (عليه السلام). بغض النظر عما لو كان الإمام خليفة وحاكماً على رأس السلطة، أم يعيش في داخل السجون وظلم المطامير (٣٧) .

فالجانب الثاني الذي انقسم على نفسه أصبح ذا قسمين، الأول:من التزم خط العصمة بعد النبي . و الثاني :من وقف سلباً أمامه .

وعليه لا يمكن التعامل مع التاريخ ودراسته على أساس البدائل التاريخية، وتصنيف المواقف والأحداث وفق معايير وقوالب قد ابتكرها الإنسان حماية لمصالحه وتقوية لخدمة سلطانه.

فهذا الابتداع الذي أملته الظروف ما بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يصعد به إلى مستوى التقديس ليكون إلهياً في ردائه لنجعل منه بالتالي عنصراً له القابلية في أن يعطف التاريخ ليحوله إلى تاريخ عظماء وعباقرة ،أو تاريخ قبائل وقوميات ،كأموية وعباسية ، أو تاريخ فرق وعقائد ،كمعتزلة،أو أشاعرة، أو صوفية إذ تلك أمور ابتدعتها الظروف السياسية في أمة الإسلام .

فالحق لا تهضمه الظروف ولا تلغيه إرادة السلاطين .نعم، أمجاد الأمة الإسلامية ومواقفها تفرز على أساس تضحياتها للرسالة وإبداعاتها لخدمة الإنسانية وق المنهج الأصيل.

وانطلاقاً من هذا التأسيس ينبغي أن نقرأ التاريخ وفق هذا المعيار والتسليم بهذا المنطق الإلهي ، والالتزام به وجعله معياراً لمحاكمة الأحداث و فهمها على أساسه.

ويمكن القول بأن العقل لوحده لا يصلح أن يكون حاكما لتحليل الأحداث وقراءتها بدون ضم المنطق الإلهي الإسلامي إليه ، إذ لا يمكن اعتبار رضا الأمة أو غضبها أو عدم قبولها لشيء ما لنقرر ونحكم على من خالفها من الأفراد بالمروق عن إرادة الأمة وطموحاتها.

قال ابن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) :{{لا يكون أحدكم إمعة، قالوا وما الإمعة ؟ قال :يقول إنما أنا مع الناس إن اهتدوا اهتديت وإن ضلوا ضللت ألا يوطن أحدكم نفسه على أن كفر الناس أن لا يكفر }} (٣٨) . وكان الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) يُحذر أصحابه بأن لا يكونوا تُبعاً للناس بلا تعقل ولا رجوع للقيم والموازين الإلهية حين يمارسون وظائفهم الاجتماعية أو السياسية ،فقد ورد عنه (عليه السلام) انه قال لرجل من أصحابه:{{لا تكونَّ إمعة، تقول أنا مع الناس وأنا كواحد من الناس }} (٣٩).

كما ليس بصحيح أن يكون رضا الحاكم ومزاجه هو السيد والحاكم في التاريخ لنقول لمن خالفه قد خالف الله،ومن أطاعه فقد أطاع الله.

وملخص القول فان المعيار لقراءة التاريخ ينبغي أن يقوم على أساس معايير الرسالة وقيمها كما أكدناه وأكدته نصوص الكتاب المجيد قال تعالى :{فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ، والَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (٤٠) .

**عقبَات في كتابة التاريخ :**

تبرز أمامنا مشكلات كثيرة نحن أبناء الأُمّة الإسلامية في هذا العصر،بالذات.

منها :مشكلة كيفية قراءة التاريخ وما هي النظرة أو العين التي نلحظ من خلالها الوقائع والأحداث التاريخية التي وقفتها الأمة إزاء الرسالة؟ وذلك ليكون التاريخ وفق هذا المنظور أداة للتحريك والتربية والإصلاح بين الناس (٤١).

والمشكلة الأخرى الموقف من التاريخ المدون والكيفية التي سجلت على أساسها الاحداث.

والمشكلة الأخيرة ما هو المعيار والضابط الذي أملته الرسالة ؟ الأمر الذي يتم بموجبه فرز الأحداث التاريخية لتدون في مرحلة لاحقة، ثم يحق للناقد أو الباحث المعاصر أن يلحظ التاريخ المدون وينقده، أو يصنفه وينظمه على أساس ذلك المعيار (٤٢). بعد ذلك من حقه أن يحكم على الأحداث فيما إذا كانت تكرارية في مناهجها، أي تستصحب المناهج القديمة ومتأثرة بها، أو من حقنا أن نحاكم الأحداث التاريخية التي كتبها المسلمون وفق مناهج حديثة، كالمنهج التجريبي الذي بَشَرَ به (روجربيكون) أو غيرها.

هذه بعض المشكلات التي تعترض الباحث التاريخي حين يُقلب صفحات التاريخ المدون في ظروف أملت تصوراتها ومناهجها على عقل الباحث آنذاك.

ولما كان للتاريخ دور في صياغة الحاضر ويشكل عنصراً مؤثراً في وعي ومسيرة الأمة فيما لو كتب بمعايير الرسالة، وانطلاقاً من كونه أداة محركة في بناء غد الأمة. إذا ينبغي أن ندرس التاريخ بالكيفية التي رسمها القرآن، حين يعرض لحركة الأمم والجماعات البشرية في السابق، وانطباق تلك الظواهر والإفرازات على الأمة الإسلامية لغرض التوظيف والاستفادة،

انطلاقا من وحدة الاشتراك في الحكم، وشمولية الخطاب القرآني على الأمة بعد الرسول ما لم يرد فيه تخصيص.

ولذا لابد من التأمل حين نجد القرآن وهو يسلط الضوء على الإخفاقات التي أصابت الأمة أثناء عصر الرسالة، كتحدثه عن معركة احد وهزيمة المسلمين فيها، وكذا معركة حنين كاشفا (٤٣): عن الأسباب والخبايا النفسية التي أدت إلى هزيمة المسلمين فيهما، كما ينبغي التأمل في مواطن القوة التي أدت إلى انتصار المسلمين في بدر وغيرها (٤٤) .

**حُجب تعترض الثقافة :**

أدرك السلطان من جهته القضية بدقة وتعامل مع التاريخ بحذر؛ لأنه وجد منه سداً مانعاً من تجاوزاته ورآه عنصراً مساعداً في تفعيل وعي الأمة، ومنبهاً لها فيما إذا ضلت الطريق فهو عنصر ترشيدي بالغ الأهمية (٤٥) ، لقد كان أمام السلطان موقفان:

الأول :

إما أن يمضي على سلوك ومسيرة الصحابة الصادقين من قبله، وبهذا ستتقاطع مسيرته ومواقفه مع مواقف ومسيرة من سبقه من هؤلاء الصادقين، وهذا يعني إقصاء دوره.

الثاني :

أن يقف السلطان موقف المُشذّب والمُحرّف للتاريخ السابق ليكون منسجما مع حاضر السلطان وسياسته (٤٦)، كالذي فعله العباسيون حين أقدموا على تعديل مواقف العباس عم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جدهم ليكون تاريخه منسجما مع أحكام الرسالة وقيمها، أو محاولة إلغاء مواقف وأحداث برمتها كانت قد حدثت في عصر الرسالة، مخافة أن تكون شاهداً يكشف عن زيف السلطان ومخالفته لمسيرة الصحابة الصادقين.

ولكن الواقع قد اثبت أن الجهود السلطانية قد سلكت الأسلوب الثاني وتم تدوين التاريخ بطريقة ذكية ليكون أداة قمع وإلغاء للآخر وتحجيماً لدوره التاريخي. وقد تأثر مؤلف الكتاب الذي اخترناه كنموذج للدراسة بهذه الجهود واستجاب لأهدافها بقصد أو غير قصد.

فدخول يد السلطان في تاريخ الأمة وتراثها و بطولاتها لم يقتصر على الأحداث والمنعطفات المهمة في تاريخها بل طال الجزئيات أيضا، لأن التاريخ يدخل فيه الحديث والتفسير والفقه، فكل ما من شأنه أن يخدم السلطان دخلت اجتهادا ته فيه بهدف تطويعه لمصلحته(٤٧) .

والباحث الذي يُطيع السلطان ويُحقق له غرضه يساهم في خطه إذ إن الجهد العلمي المبذول إذا استهدف رضى السلطان وجعله هو الملاك لصحته فهو غمص كبير لحق الرسالة والأمة معاً، وقد نعى القرآن وذم مثل هذا الجهد، قال تعالى :{فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِن عِندِ اللهِ} (٤٨).

لذا نجد القرآن قد ندد بأتباع السلاطين فقال:{اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ ..}(٤٩).

وجاء في تفسيرها عن الأمام الصادق (عليه السلام ) انه قال :أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم ما أجابوهم، ولكن احلوا لهم حراما وحرموا لهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون (٥٠) .

فالتاريخ والسيرة النبوية يتضمنان سلوك النبي وسنته، وسيرة المعصوم تُمثّل السيرة المطلوبة عند الله تعالى، من هنا جاء الأمر بإتباع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من حيث القول والفعل والتقرير، فلا يقول المعصوم من عند نفسه ولا يجتهد قبال الأمر الإلهي (٥١).

والأمة التي تلاحظ التاريخ من خلال العقيدة السليمة بفاعلية التاريخ وسننه سترتفع بالتاريخ، لأن يكون فاعلاً في حياتها وبنائها بل ويساهم في توحيد جهودها، لأن الأمة تقرأ التاريخ بمنظور ترسيخ العقيدة، وبهذا سيرتقي التاريخ إلى مستوى العطاء والتربية .

السلطان والسنة :

ولما أدرك السلطان خطورة هذه المسألة تعجل فمنع تدوين الحديث.

قال الخليفة الأول: إنكم تُحدثون عن رسول الله احاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد خلافاً فلا تُحدّثوا عن رسول الله شيئاً فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله ، فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه (٥٢).

وأما الخليفة الثاني فقد انشد الناس بان يأتوه بها فلما أتوه بها أمر بتحريقها (٥٣) .

علماً أن السنة والتاريخ وطبيعة نقل الأحداث وتداولها بغض النظر عن قرار حضر التدوين قد تعرضت للاختلاف فيما بين المسلمين تبعاً لقربهم من الحادث، أو الذوق الذي يقرأ بموجبه الأحداث، وما إلى ذلك من دواعي الاختلاف في النقل .

فنجد الخليفة الأول اختلف مع الثاني في أمور كثيرة كقسمة الأراضي المفتوحة وكطريقة الاستخلاف، حتى قال ابن نعيم : إن عمر بن الخطاب اختلف مع عبدالله بن مسعود في اكثر من مئة مسألة ، ولذا يقولون إن الصحابة كانوا يعدلون عن النص عند الضرورة الداعية ، وفي احوال مخصوصة تدعو إليها المصلحة التي يبتنى عليها الشرع ، فهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على ان الإختلاف في النصوص يرجع إلى اختلاف وجهات نظر الحاكمين (٥٤) لا الى الميزان الثابت كالقرآن ، أو خليفته المنصوص عليه الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، ثم إن تعليل مسألة تجاوز النص وصلاحية التلاعب بالأحداث والنصوص المحمدية وغيرها من الأحكام بحجة كون المجتهدين امام النصوص هم من الصحابة ، فهذا التعليل ، فهذا التعليل مردود بميزان الرسالة إذ لا يمتلك الصحابي صلاحية تؤهله لتجاوز النص الصادر عن الوحي الوارد على لسان رسول الله : الّذي لا ينطق عن الهوى {إِنْ هو إلاّ وحيٌ يوحى}(٥٥) وقد صرّح تعالى قائلاً :{ ولو تقوّل علينا بعضُ الأقاويل *

لأخذنا منه باليمين* ثم لقطعنا منه الوتين}(٥٦) وقال تعالى :{ وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته...} (٥٧)

**السلطان والفقه :**

وجاء دور الفقهاء وما بعد الصحابة الذين اعتمدوا التركة الحديثية والتاريخية المسجلة بعد الرسول حسب ذوق الحاكمين لتكون أساساً في الفقه والحكم .

ومع ذلك فما زالت سلطة الحاكم على الفقيه قائمة ، فهذا مالك بن أنس فقيه المدينة ، نجده تولى جعفر بن سليمان إمارة المدينة زمن خلافة أبي جعفر المنصور العباسي ، فقد جرد الأمير مالكاً وضربه حتى انخلعت كتفاه ، بسبب كون المنصور قد نهى مالكاً عن تداول ونقل حديث {{ ليس على مستكره طلاق}}(٥٨) ثم دسّ إليه من يسأله عنه فحدث به مالك فنال ما تنال منه .

وبعد هذه الحادثة المشهورة نجد سياسة الخليفة ومصلحته تستدعي تقريب الفقيه ، وفعلاً قد قربه وقدمه على كثير من الفقهاء ، ممن هو أعلم منه كالإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

ويروي مالك نفسه قصة هذا التحول المثير في حياته ، الذي تم عبراللقاء بينه وبين المنصور أن يستميل مالكا ويخلع عليه آلاف الدنانير والحُلل والعطايا ، ثم يأمر بتدوين الموطّأ .

وترتقي علاقة الفقيه مع السلطان إلى رتبة أعلى من ذلك ، حيث منح سلطة قوية تعتبر أنذاك أقوى من سلطة حاكم المدينة ، فقدكان مالك يأمر بحبس من يشاء أو يضرب من يُريد.

وبناءً على ذلك يمكنك التوصل إلى معرفة علة عدم ذكر مالك فضائل أهل البيت عليهم السلام ، في موطّأهُ وبخاصة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، الذي لاتخلو كتب الحديث والسير والتفسير من ذكره.

وقد أجاد مالك حين مثل إرادة السلطان ونفذ له ما كان يريده منه ، حيث حذف ما لا يريد السلطان ذكرهم في وثائق التاريخ .

**السلطان والتاريخ:**

وينقل لنا السيوطي في تاريخه أسلوباً آخر للسلطان ومدى تأثيره على كتابة التاريخ ، فعن عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه قال :(إعلم أنَّ علياً كان كثير الأعداء ففتش له أعداؤه عيباً فلم يجدوا فجاءوا الى رجل قد حاربه وقاتله فأطروه كيداً منهم له)(٥٩).

ويبين ابن عرفه نفطويه في تاريخه مدى جهود السلطان ومحاولاتها في تشويه الحقائق ومحوها ، واختلاق احاديث وأمجاد لخصوم أهل البيت عليهم السلام الذين يمثلون الخط الإمتدادي للإسلام قال :( إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة أُفتعلت في أيام بني أُمية تقرباً إليهم بما يظنّون انهم يرغمون أُنوف بني هاشم ) (٦٠)

ولاحظ معي جهود السلطان في مجال كتابة التاريخ ، فقد جاء في مقدمة كتاب السيرة لإبن إسحاق أن عبد الملك ابن مروان ودَّ لو لم ينشغل أحد بالسيرة لما فيها من تقديم لبني هاشم والأنصار(٦١).

وصرّح كذلك في مقدمته على السيرة أنّ ابن إسحاق صنف السيرة بأمر من المنصور العباسي ، فلما اطلع عليها المنصور طلب إليه القيام ببعض التعديلات فيها ، وقال :(( إن المنصور أراد من ابن إسحاق التركيز بشكل اوضح على دور العباس بن عبد المطلب ، واخباره مع النبي وخدماته الجلّى للإسلام ، وربما رافق ذلك طمس بعض ما يتصل بنواحي ضعف العباس وأعماله المعادية للرسول قبل إسلامه )) ، ولم تسلم سيرة ابن إسحاق من الطمس والتعديل بطلب من المنصور ، حتى جاء ابن هشام الذي جمع هذه السيرة ورواها عن ابن إسحاق في كتابه ((السيرة النبوية)) .

وقد بيّن الدكتور زكّار ذلك في مقدمته فقال :(( أما رواية البكائي فلم تصل إلينا للأسف في شكلها الأول بل نالها تديل ابن هشام وإختصاره )). وبيّن سبب الطمس بأنه مما يُسيء للسلطان ذكره ، (( وبعض يسوء بعض الناس ذكره ، واشياء بعضها يشنع الحديث به ، ولهذا النوع من الحذف ولا شك أسباب سياسية وأُخرى تتصل بالصورة التاريخية لعصر ابن هشام عن النبي وصحابته)).

وهذا الطبري عندما يقترب التاريخ من مس الحاكم تجده يتقلب على وجوه ، فيذكر ما يروق له ويترك غيره ، فهو عندما يذكر معاوية يتعمد التعتيم على سيرته من بذخ وترف ، وتسلط على العباد وبناء القصور الفخمة واكله بآنية الذهب والفضة ولبسه الحرير والديباج ، وقد حذره الخليفة عمر بن الخطاب من ذلك حين لقيه قائلاً :((أكسروية يا معاوية؟!)) وقد ترجم ابن خلدون هذه الكسروية فقال :(( إنما أراد عمر بالكسروية ما كان عليه أهل فارس في ملكهم من ارتكاب الباطل والظلم والبغي وسلوك سُبُله والغفلة عن الله)).

روى الطبري في تاريخه ، أحداث سنة (٣٠هـ) ، ما كان من أمر معاوية وابي ذر الغفاري قال:(وقد ذكر في سبب إشخاصه إياه منها إليها أُمور كثيرة ، كرهت ذكر أكثرها . فأما العاذرون معاوية فإنهم ذكروا في ذلك قصة كتب بها إلى السري يذكر أن شعيباً حدّثه عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسي قال : لما ورد ابن السوداء الشام لقي أبا ذر فقال : يا أبا ذر ألا تعجب إلى معاوية يقول : المال مال الله ، ألا إن كل شيء لله ، كأنه يريد ان يحتجبه دون المسلمين ، ويمحو اسم المسلمين...))(٦٢) فروي ما قاله العاذرون معاوية ،

وترك ما قاله غيرهم ، فصار هو أيضاً عاذراً لمعاوية في ذلك ، ونقل كثيراً من تاريخه عن الكذاب المتزندق سيف بن عمر التميمي الذي لم يذكره أحد من علماء الجرح والتعديل إلاّ وذمه وإتهمه بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله .

ولقد إنفرد الطبري برواية شخصية عبد الله بن سبأ ومن طريق سيف هذا فقط كيداً لأهل البيت عليهم السلام وتشنيعاً لأتباعهم ، وتأكيداً لسياسة عاذري معاوية .

يقول المستشرق البريطاني ((جيمس رابسن)): (( ومع اني لاحظت أن العلماء القدامى لا يتفقون في دراساتهم لرواة الحديث ، غير أنّا وجدناهم هنا متفقين حول سيف ، وهذا ما يجعل الشخص يتعجب من الكتاب الذين جاءوا بعد سيف ، وأنهم كيف رضوا لأنفسهم أن يتقبلوا أساطير سيف))(٦٣)

<u>وعي التاريخ وضعف الأمة :</u>

يعتقد الكثير من المفكرين الإسلاميين بأنّ العوامل التي ادت إلى ضعف المسلمين في أن يعيشوا هذا التدهور هي عوامل داخلية والبعض أرجعها إلى عوامل خارجية والصنف الأكثر وَجَدَ أن هناك ترابطاً بين العاملين .

والصنف الأول أصر على فاعلية العوامل الداخلية واعتبرها العلّة الأصلية في التدهور ، مستفيدا من الآيات القرآنية كقوله تعالى :{ أولمّا أصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم أنّى هذا قل هو من عند أنفسكم إنّ اللهَ على كُلِ شيءٍ قديرٌ} (٦٤)

وإذا كانت أزمة التدهور والإنحطاط ترجع إلى العامل الداخلي فأول فقرة من هذه الأزمة ترجع إلى العامل الثقافي ، فترى الأمة في عصر ضعفها ان العمل الصالح ينحصر بالعبادة ، اي في إطارها التعبدي ولم ترَ أن أساس العمل الصالح محوره التوحيد لتكون انشطتها وفعالياتها تنطلق من هذا المفهوم فالحج عبادة والجهاد عبادة والحكومة عبادة والطاعة عبادة والإنتظار عبادة (٦٥) .

وهذا المفهوم اتجه بهموم المسلمين إلى أن تكون واطئة محصورة بالحياة والأسرة والزوجة والمال . وجعل محور النشاط والحركة بهموم الفرد وحاجاته وإقصاء نهج الدين الذي يتسع بهمومه لأكبر من ذلك لتكون هموم عقيدة تدفع بأبنائها إلى الإصلاح بين الناس ، الأمر الذي يحتاج إلى ثقافة قرآنية وتاريخية كاملة وربط ذلك ببناء الحضارة والإنسان وعدم الإكتفاء بتمجيد الأسلاف والتغني بتراثهم .

ويأتي السلطان ليعمق الأزمة الثقافية بتشويهه الحقائق ، ومنع تداول ثقافة القرآن وحصرها بهموم ثقافة السلطان وانعكاسات ذلك على التربية (٦٦).

وتأتي وسائل إعلام المرحلة الراهنة بمختلف مراكزها لتطعن بالإسلام محاولة اختراق ثقافته عبر إثارتها النعرات القومية والعنصرية بهدف إبعاد المسلم عن ثقافته الإسلامية الأصلية .

وهكذا زرع الأحزاب التشكيك بالفكر الإسلامي نفسه واتهام مَن يفكر بالغيب بأنه رجعي مُتخلّف وأنّ الإيمان بالغيب من الخرافة .

وقد لعب الإستشراق دوره البالغ في هذه المسألة وإن كان يُعدُ من العوامل الخارجية للتحدي الثقافي حيث أصبحت كتابات المستشرقين مرجعاً لفهم الدين عند البعض ممن تأثر بالنهضة الأوربية الحديثة .

وهولاء قد استهدفوا الرسول صلى الله عليه وآله فقد وصفه احدهم على أنه لم يُعرَف والده مستدلاً بأن أسم عبد الله يضاف إلى مجهول لم يُعرف والده ، إذاً فالرسول مجهول الأب.

ونسي هذا المستشرق بأن العرب بالإضافة إلى معرفتها بأنسابها تعرف حتى أنساب الخيول والجمال ، كذلك أشاعوا بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اسقفاً مسيحياً فهو لا يتعدى كونه مصلح دين وليس مرسلاً من ربِّ العالمين .

واستهدفوا القرآن أيضاً وقالوا بأن مرجعه إلى الذات المحمدية وليس إلى وحي من خارج الذات ، فهو إذن من تأليف محمد . وهكذا شككوا في الحديث وكتبه ومصادره.

أما الفقه الإسلامي فقالوا إنه مُتأثر بالقانون اليوناني ، كما استهدفوا التاريخ والسيرة النبوية بالذات فكتبوا حولها كتباً كثيرة كان أكثرتلك الجهود منصباً على تشويه الحقائق ، وما إلى ذلك من شُبه وإفتراءات .

<u>الوعي التاريخي طريق الإستنهاض:</u>

فإذا كانت الظروف التي عاصرها مؤلف الكتاب موضوع الدراسة تستدعي الإستنهاض والإقلاع عن السُبات والتردّي الذي طال مظاهر الحياة في البلاد الإسلامية ، وتسبب في تخلفها وتدهورها ودعا بالمفكرين إلى أن يسجّلوا آراءهم ويتفحصوا الأسباب القديمة بُغية السعي نحو الإصلاح وإيجاد العلاج الملائم نجد الأستاذ هيكل يرى أنّ العامل الثقافي هو السبب الأساسي في الهزيمة وعليه لابدّ من رجوع الأمة إلى أصالتها وعقيدتها والإطلاع على التاريخ بل ، والسيرة النبويّة بالذات تُكفل لنا نهضة الأمة إذا كُتبت بلغة علمية نزيهة تحاكي ضمير الأمة وتشكل عنصراً نهضوياً ومُحفزاً لحركتها ومساهمة فعّالة في إعادة وعيّها ؛ لأن التشويش الذي القت به الحقب الزمنية المعتمة من تاريخها والتلاعب بما كُتب من تراثها كان السبب الأساسي في التدهور المعاصر .

ومن هنا لابد من التجديد في الكتابة وفحص ما كتبه الأقدمون ونقد ما يكتبه المعاصرون المتأثرون بالمناهج الحديثة والمناهج التاريخية القديمة التي لم تراعِ والموازين والمعاييرالمعتبرة في الفكر الإسلامي . وبناءً على ذلك تاتي السيرة وبعدها تاريخ الأمة كمسيرة لا بدّ من تسليط الضوء عليها لغرض الإستنهاض والسعي نحو الكمال المنشود ـ طبعاً ـ بعد مراعاة عدّة أمور ينبغي للباحث العمل بموجبها ، وهي :

١ـ استبعاد المناهج الحديثة التي انتهجها العقل الأوربي كحاكم على تاريخنا ومسيرتنا لنُصنف على أساسه الأحداث .

٢ـ تحرير عقل الباحث من سلطة المذهب أو الطائفة التي يعتقدها ، وعدم محاولة توظيف النصوص التاريخية وتحويرها ، بما يتلاءم مع متبنياته المذهبية .

٣ـ دراسة السيرة وفق الميزان القرآني والسنة النبوية الصحيحة ، الذي يلزم فيها عدم إقصاء الغيب واثره في سياق الأحداث والمنعطفات التاريخية كالمعجزة التي مصدرها الوحي او الرسول .

٤ـ الرجوع إلى ثوابت الإسلام ومعتقداته الأم من اجل تمييز نتاجات المؤرخين والباحثين الإسلاميين والقدرة على الأخذ منها لاإنشاء اعتقادات وموازين جديدة يخترعها الباحث لتكون ميزاناً لقراءة التاريخ الإسلامي .

٥ـ بلورة وتشخيص مناطق الضعف وفرز الأحداث التي سببت إنتكاسة الأمة وضعفها مخافة الوقوع في نفس ما ارتكبه الأسلاف لئلا يكون مستقبلنا تكراراً لمأساتنا في الماضي.

<u>محمد حسين هيكل ومنهجه في كتابة التاريخ:</u>

فإذا كانت الملاحظات الآنفه تساهم في نتاج الباحث التاريخي وتؤثر فيه ، بالإضافة إلى كون المؤلف قد لاحظ الظرف المعاصر بكل ملابساته فعلياً فعلينا أن نرى (هيكل) كيف اختار منهجه لكتابة التاريخ ؟

ثم ما هي الدواعي التي دفعته لكتابة (حياة محمد) بالذات؟

لقد ذكر المؤلف بهذا الصدد في طيات بحثه وفي اكثر من مرة إن الذي دفعه لتأليف كتابه هذا هو الظروف الظالمة التي مر بها العالم الإسلامي وإنخراط أكثر الشباب في في التيارات المعادية للإسلام بالإضافه إلى تعلقه وإعجابه بما أنتجه العقل الأوربي في الفكر والنظم والسياسة والعلم فقال : لامفر من هذا السبيل أن يصل الحاضر الحي وزورة الماضي وتراثه العظيم فهو يريد ان يعرف الإنسانية كلها كيف تسلك سبيلها إلى الكمال الذي دلها إليه النبي صلى الله عليه وآله على طريقه ؟

وهذه الغاية غير ميسورة إذا لم يهتدِ الإنسان إلى هذا السبيل بمنطق عقله ونور قلبه ، راضي النفس بهذا المنطق منشرح الصدر إلى هذا النور ، لأن مصدرهما المعرفة الصحيحة والعلم الصحيح ، فالتفكير الذي لايعتمد على المعرفة الدقيقة ولايتقيّد مع ذلك بالطرائق العلمية كثيراً ما يُعرِّض صاحبه لأن يُخطئ ويكبو ، وكثيراً ما ينأى لذلك به عن محجّة الحق .... ودراسة التاريخ يجب أن تكون غايتها نشدان المثل العليا من حقائق الحياة ، ويجب لذلك أن يتجنب من يدرس التاريخ سلطان الهوى وحكم المزاج ، ولا سبيل إلى تجنبها إلاّ أن يتقيد الإنسان بالطريقة العلمية أدقّ التقيّد ، والاّ يجعل من العلم والبحوث العلمية في التاريخ أو غير التاريخ مطية لإثباث هوى من أهوائه أو من نزوة من نزوات مزاجه(٦٧).

والناس، على إختلاف مشاربهم الفكرية والعقيدية وتنوع امزجتهم واهوائهم لا يجمعهم ـ من جهة نظر هيكل ـ سوى العلم والمنهج العلمي ، فهو الوحيد الذي له على هولاء جميعاً سلطان وسطوة ، بحيث لا يبقى لأي أحد منهم حجة او ذريعة إن حكم في قضية ما .

وقد فرض عليه نهجه الذي اشار إليه غير مرة أن ينأى عن أكثر كتب السيرة مما يعدّ من أمهات المصادر في هذا الحقل المعرفي ن معتذراً عن ذلك بكثرة الدخيل في هذه السير مما لايصدقه العقل ولا حاجة إليه في ثبوت الرسالة ، والذي اعتمده المستشرقون للنيل من النبوة والنبي صلى الله عليه وآله .

وعلى الرغم من ذلك فقد ادان الدكتور هيكل ما يسمى بالفلسفة الواقعية (الوضعية) وموقفها من المسائل الدينية ، ورای أنها لاتخضع للمنطق ولا تدخل في حيز التفكير العلمي ، وان ما يتصل بها من صور التفكير التجريدي (الميتافيزيقي) ليس ـ هو أيضاً ـ من الطريقة العلمية في شيء . كما أدان الدكتور هيكل المحاولات التي استهدفت الحياة الروحية بأسم العلم وحلاله محل الايمان ، في الوقت نفسه أكد على قصور العلم وإنه لايزال قاصراً عن تفسير كثير من الظواهر الروحية والنفسية ، وانه لا يزال قاصراً عن تفسير الظواهر الكونية ، فكيف يمكنه تفسير الظاهرات الروحية ؟ بل إنَّ إنكار الظواهر الروحية ، وبخاصة ظاهرة الوحي مما يأباه العلم وتتنزه عنه قواعده.

<u>ملاحظات حول منهج الدكتور هيكل في كتابه حياة محمد صلى الله عليه وآله :</u>

قد سجل كثير من الباحثين جملة من الملاحظات على كتاب هيكل (حياة محمد) لهيكل منهم السيد محمد الحسيني تحت عنوان الإتجاهات العامة في دراسة السيرة النبوية(٦٨) وإليك جملة منها :

أولاً : اشتمل الكتاب على دراسات نقدية ومعالجات جيدة لاتخلو من الدقة والروعة ، ومن ذلك قضية صيانة القرآن من التحريف وكونه متواتراً ومحفوظاً من الزيادة والنقصان . كما عالج عدداً من المسائل الفكرية المهمة مثل الرسالات السائدة يومذاك ، وموقع المرأة ومركزها في الإسلام وقبل عصر الإسلام . إضافة إلى ذلك اشتمل بحثه على عدة تساؤلات جديرة بالبحث ، وبخاصة تلك التي أثارها في فصل الهجرة إلى الحبشة . وناقش بتفصيل مقولات تاريخية إهتم بها المستشرقون لعلّ في مقدمتها أُكذوبة الغرانيق وفرية الصرع.

ثانياً : ويبدو أنّ المنهج العلمي الذي إرتضاه هيكل لنفسه فرض عليه التشدد في ما يعرف بمجزات النبي محمد صلى الله عليه وآله وقد اصر الدكتورهيكل على أن القرآن الكريم معجزة الرسول صلى الله عليه وآله الكبرى . قال : ((ولم يرد في كتاب الله ذكر لمعجزة أراد الله بها أن يؤمن الناس كافة ، على اختلاف عصورهم برسالة محمد صلى الله عليه وآله إلاّ القرآن الكريم هذا ؛ مع أنه ذكر المعجزات التي جرت بإذن الله على أيدي مَنْ سبق محمداً من الرسل ، كما أنه جرى بالكثير مما أفاء الله على محمد صلى الله عليه وآله وما وجَّه إليه الخطاب فيه ، وما ورد في الكتاب عن النبي لا يخالف سنة الكون في شيءٍ . وكلامه ليس صريحاً في نفي المعجزة ، إلا أنه نفى بالفعل عدداً مما عرف من معجزات النبي صلى الله عليه وآله ، وقد ردَّ شيوع هذه المعجزات في كتب المسلمين إلى إعتقادهم بأنها ـ أي الخوارق المادية ـ لازم لكمال الرسالة فصدقوا ما روي منها وإن لم يرد منها في القرآن الكريم . كما أكد على أن التاريخ لم يذكر أن المعجزات حملت أحداً منهم على أن يؤمن ، بل كانت حجة الله البالغة هي الوحي ، وحياة النبي في سموها ، ولذا نوّه في الحديث عن مصادر بحثه إلى أنّ القرآن الكريم هو المرجع الأصدق .

وعلى اساس هذا المنهج رفض معجزة الغار وحاول التشكيك بها ، كما استهان بحادثة سراقة في مطاردته للنبي صلى الله عليه وآله وردها إلى أسباب طبيعية .

وقد جاءت كلمات هيكل في تعليقه على حادثة الإسراء والمعراج مبهمة غامضة ، وبخاصة عن وحدة الكون في روح محمد صلى الله عليه وآله ، إلى درجة علق معها عبد الله القصيمي في نقده لكتاب هيكل :((والذي نخشاه ان يكون هذا القول قد تضمن نفي الإسراء والمعراج فإنه إذا كان للكون وحدة ،اوإذا كان الكون كله واحداً مجتمعاً في روح محمد صلى الله عليه وآله وفي صدره كما يريد كاتبنا لم يكن هناك حاجة إلى أن يسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، أو يعرج به من الأرض إلى السموات العُلى ، بل لم يكن ذلك مستطاعاً ولا معقولاً ، لأن المسجد الحرام والمسجد الأقصى كلاهما في روح محمد وكلاهمال شيء واحد ، ولأن السماء والأرض شيء واحد وكلاهما في روح محمد ، فهل يمكن أن يعرج به أو يُسرى به إلى شيء هو في روحه ومعه؟! )).

ولكن تعسف الدكتور هيكل واضح في نفي المعجزة بشكل عام ، ولعلّ ذلك يرجع إلى ما أسماه بالطريقة العلمية الغربية ، وإلاّ إذا كان الدكتور هيكل يعدّ القرآن المرجع الأصدق فلماذا يتعسف في نفي ما اشار إليه القرآن الكريم في قضية جيش ابرهة الحبشي ويلجأ إلى تفسيرها بالوباء ، وباء الجدري الذي تفشى في الجيش على حد زعمه ؟! هل من الطريقة العلمية ان يفسر القرآن خلاف الظاهر من دون قرينة صارفة عن الظاهر ؟

ثالثاً : إنّ المؤلف وإن تأثر بمنهج الإستشراق إلاّ أنه درس الإستشراق ، بعمق وبنظرة نقدية لا تخفي إمتعاضها منه . وقد أشار في عدد من المواطن إلى أخطاء المستشرقين وحذّر منها صريحاً ، وإن عُدّ بعضهم من المُنصفين ، وقد أرجع تلك الأخطاء إلى اهم سببين : أولاً : جهل المستشرقين بأسرار اللغة العربية ، أو لما يشوب نفوس طائفة منهم ثانياً .

رابعاً : وإن اصطبغ بحث الدكتور هيكل بروح نقدية واضحة ، إلاّ انه لم يشأ مفارقة المشهور في عدد من المقولات التاريخية ، ولم تثر عنده التساؤلات والإحتمالات ومن ذلك تأخُر جمع الحديث.

كما ساير المشهور في إعراض حليمة السعدية عن قبول إرضاع النبي صلى الله عليه وآله أول الأمر ثمّ اضطرارها لقبوله ثانياً .

وتمر عليه مقولات تاريخية لا يعلق عليها ويُرسلها ارسال المسلَّمات ، ومن ذلك ما ذكره على هامش حديثه عن نذر عبد المطلب ، فينقل عن الطبري أنّ امرأة من المسلمين نذرت إن فعلت كذا لتنخرنّ ابنها ، وفعلت ذلك الأمر ثم ذهبت إلى عبد الله بن عمر فلم يرَ فتياها شيئاً ، فذهبت إلى عبد الله بن عباس فأفتاها بأن تنحر مائة من الإبل ، كما كان الأمر في فداء عبد الله بن عبد المطلب ، فلما عرف ذلك مروان والي المدينة انكره ، وقال : لا نذر في معصية.

هنا لم يشأ التعليق . وكيف يخفى الحكم على حبر الأمة عبد الله بن عباس أو عبد الله بن عمر (الخليفة الثاني) وأجاب عنه مروان المفتي !!.

أما ما هو اكثر طرافة ما نقله عن أم المؤمنين عائشة ، يقول هيكل : ويروى أنّ عائشة كانت تزور حجر القبر ـ يعني قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ـ سافرة إلى أن دفن عمر بها إذ لم يكن بها يومئذ غير

ابيها وزوجها فلما دُفن عمر كانت لاتدخل إلا متحجبة لابسة كامل ثيابها .

خامساً : انتماء هيكل المذهبي فرض عليه التعامل بحذر مع النصوص التاريخية وبإنتقائية ، فهو في الوقت الذي لم يشر فيه ـ إطلاقاً ـ إلى حديث الغـدير ، فإنه اشار إلى حديث الدار بتصرف ، فنقل قول علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله بعد قوله صلى الله عليه وآله فأيُّكم يؤازرني على هذا الأمر:(( أنا يا رسول الله عونك . أنا حرب على من حاربت )) ولم يشأ إكماله . نعم ، كان هيكل قد ذكره في الطبعة الأولى عن الطبري في تاريخه ثم حذفه من الطبعة الثانية وما بعدها (٦٩). بل اتهم علياً عليه السلام في أمرعائشة في ما عُرف بحديث الإفك قال:((وكانت ـ الإشاعات ـ تجد من حسان بن ثابت عوناً ومن عليٍّ بن أبي طالب سميعاً)) .

يُلاحظ أنَّ هيكل نفسه ذكر مقالة عائشة لرسول الله ، وهو يحمل ابنه ابراهيم من مارية من أنها لا ترى بينهما شبهاً . كأنه يُشير بذلك إلى نزول آيات الإفك في مارية لاعائشة كما هو في عدد من الروايات.

ولكنَّ الأخطر في هذا الصدد هو إتهامه لأهل بيت رسول الله (ص) بوضع الأحاديث والزيادة فيها وإذاعتها بكل الوسائل .

وأخطر منه ما ذكره من اتصال النبي صلى الله عليه وآله بالنصرانية وحديثه إلى رهبانها وأحبارها وجداله معهم ، وبخاصة مع الراهب النسطوري ، وهي مقالة نقلها الدكتور هيكل عن (در منغم) في كتابه ((حياة محمد)).

سادساً: وقد يبدو التناقض واضحاً على عدد غير قليل من المقولات الفكرية والتاريخية في بحث الدكتور هيكل ، فهو في الوقت الذي يمنح فيه دوراً مهما لخديجة رضي الله عنها في تطمين النبي صلى الله عليه وآله إبان نزول الوحي لا يتحرج من نقل ما روي أنها قالت له : ما أرى ربك إلاّ قد قلاك ، بعد تاخر الوحي وإبطائه عنه .

ومن ذلك إنسياقه مع المقولة التاريخية المشهورة في إعراض المراضع ومنهن حليمة عن قبول النبي صلى الله عليه وآله لِيُتْمِهِ ، لأن الرجاء في الأيامى قليل ، وهو في الوقت نفسه وبعد عدة صفحات يشيد بايادي عبد المطلب على أهل مكة وكرمه، فكيف غاب عن هولاء المراضع أن محمداً هذا الطفل ليس كأيِّ يتيم ، بل هو حفيد هذا الزعيم المكي الذي يجود على الناس في ساعات العسرة وأيامها !

وقد يكون من اكثر مظاهر التناقض عنده ، وهو يقرر أن التاريخ لم يذكر أن المعجزات حملت أحداً على الإيمان ، ففي الوقت نفسه يؤكد أن طائفة من الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله إرتدت بعد حادثة الإسراء . فلماذا ارتدت هذه الطائفة وهي لم تؤمن للمعجز ؟ فكما أنها لم تؤمن لأمر حسي أو أمر خارق للعادة فهي بكلّ تأكيد لا يثنيها عن إيمانها ذلك الأمر ، إن لم يزدها إيماناً .

ونضيف لما ذكره السيد الحسيني ما يلي :

سابعاً : حبّذا لو اطلع مؤلفنا على الكلام المقارن لكي يرعى بعض الحكام لئلا يتوهم القارئ للسيرة بأن الحكم فقهياً أو عقائدياً في مسالة من المسائل ، كما قررها الكاتب كمسألة الشفاعة والعصمة للنبي قبل أو بعد البعثة انظر (ص ٤٦١) وكمفهوم الشورى انظر (ص ١٣و١٣٥و٣٦٠) وتشريع حكم الأذان فيما إذا كان متضمناً لقول (الصلاة خير من النوم) أم لا انظر (ص ١) والمثلة بالميت انظر (ص ٣٧٤) .

ثامناً : النظرة للنبي الأعظم صلى الله عليه وبله وسلم كرجل عادي لا كنبي له من الإمتيازات والصفات التي تستثنيه من ذلك ، كحديثه عن حيرة النبي حين طمأنته خديجة ابن عمها ورقة بن نوفل واتهام زوجات النبي له بالظلم ص٥٨٧ .

تاسعاً : الإرتفاع بالصحابي أبي بكر من حيث قوته الإيمانية أقوى من النبي صلى الله عليه وآله كما في صفحة ٣٢٢.

عاشراً : ترقيع الأخبار وتشويهها مما يدل على أن الكاتب لم يقوَ على تصوير الأحداث ؛ أو أنه عمد إلى تشويهها ، بالوقت الذي كان الهدف من الكتاب عرض السيرة بلغة يفهما المسلمون لأجل أن يقتدوا بها ، كما في الصفحات ١٦٨و٢٦٤و٣٠٥و٦٥١.

حادي عشر: إخفاء دورالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في نصرته للرسالة والرسول صلى الله عليه وآله ذلك الدور المميز الذي تحدثت عنه الكتب الحديثة والتاريخية المتداولة ، ويكفي الباحث مراجعة كتاب شرح نهج البلاغة وغيره لمعرفة تلك المناقب ، إلاّ أنه نقل لنا من الكتب ما من شأنه أن يقلل من قيمة علي عليه السلام ، فينقل لنا تردد علي في قبول الإسلام انظر (ص ١٤١) وكأن كاتبنا لم يطلّع على حياة علي قبل البعثة ومستوى العلاقة التي كانت تربطه مع النبي صلى الله عليه وآله .

وقد سجّلت لنا كتب التاريخ قاطبة تحت عنوان أول من اسلم :إنه علي بن ابي طالب عليه السلام (٧٠) .

والشيء الملفت للنظر أن الكاتب لم يهضم بطولات علي عليه السلام حين لاحظ أن راية رسول الله صلى الله عليه وآله كانت في اكثر المعارك بيد علي عليه السلام (٧١) ، ربما رأى هذه الحقيقة بمنهجية غير واقعية ، أو غير مستساغة ، أو بدافع إرضاء البعض فحاول عدم إبرازها ، كما في (ص ٣٣١) ، كما سجل إتهامه للإمام حين نقل موقفاً سلبياً لا يليق بعلي إزاء زوجات النبي صلى الله عليه وآله انظر (ص٤٥٠) .

ثاني عشر: نقله لمقاطع تاريخية ومعروفة في تاريخ الرسالة ، وقد نقلتها كتبنا الإخبارية بلغة عربية واضحة تعبر عن واقعها بما لا لبس فيه ولا غموض إلاّ أن المؤلف حاول أن يؤلف صورة من عنده تتسم بالغموض والإلتباس والشك في ذهن القارئ . مثلما فعله في ص ٥٥٣ وبدأ (محمد) يومئذٍ غاية في السماحة ... والكاتب في معرض بيان سماحة النبي صلى الله عليه وآله لكنه ينقل لنا نص قطع اللسان بامر النبي لأحد الأشخاص فهذه صورة حتى على فرض صحتها لكنها لا تنسجم مع هدف الكاتب .

كما يتخيل الكاتب تصورات ذهنية ويمليها على النص التاريخي ، كما فعل في صفحة ٥٤٦.

ثالث عشر : إهماله لبعض الأحداث المهمة في تاريخ الرسالة كالمباهلة (ص٢٨٦) ، والتقطيع في النصوص بما يتلاءم مع ذوقه مثل ذكره لأسماء الصحابة ص٥٤٢ وعدم ذكر أسماء البعض الذين ثبتوا في واقعة حنين . وكما فعل في حادثة الغدير ودمجها مع حجة الوداع.

واخيراً نأمل من المفكرين والباحثين أن يثروا السيرة النبوية بالدراسة والتحليل لتكون حافزاً لمعرفة الدين وعنصراً للإصلاح والتغيير .

نسأله تعالى أن يكون عملنا لرضاه إنه ولي التوفيق .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين وصلّى الله على محمد وآل محمد.

## الهوامش

١. صحيح البخاري ج٢ ص٩ دار الفكر وصحيح مسلم ج٥ ص٧٥ دار الفكر
وسنن أبي داود ج٢ ص ١٦٢ باب كتابة العلم
وسنن الدرامي ج١ ص١٢٥ باب من رخص بالكتابة
ومستدرك الحاكم ج١ص ١٠٥
٢. كتاب الجامعة راجع بصائر الدرجات ص١٤٩
٣. تفسير القرطبي أبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي مؤسسة العربي بيروت ج ٢٠ ص٢٠٤
تفسير بن كثير اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي دار الفكر بيروت
٤. السيرة النبوية لإبن هشام دار الجيل بيروت
٥. دلائل النبوة اسماعيل بن الفضل التميمي الأصبهاني دار طيبة الرياض
٦. الطبقات الكبرى لإبن سعد ج٣ ١١٤
٧. الدرر في أخبار المغازي والسير: يوسف بن عبد البر/ دار المعارف بمصر
٨. المدرسة القرآنية: لآية الله السيد محمد باقر الصدر .
٩. من قبيل عبد الفتاح عبد المقصود
١٠. كما في تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب
١١. راجع الدر المنثور: لجلال الدين السيوطي / دار المعرفة جدة
وتفسير العياشي محمد بن مسعود العياشي / المكتبة العلمية الإسلامية
نور الثقلين: الشيخ عبد علي الحويزي/ مؤسسة اسماعيليان
السيرة النبوية : لإبن هشام والسيرة الحلية وغيرهما .
١٢. تاريخ بن خلدون : ابن خلدون دار إحياء التراث العربي بيروت ط/٤ المقدمة
١٣. ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)) سورة يوسف الآية( ١١١ )
١٤. سورة ص ٢٦
١٥. نهج البلاغة : ٨٠ خ٣٣ / الشيخ محمد عبدة
١٦. المؤمنون :١١٥
١٧. الغيبة للشيخ الطوسي / مؤسسة المعارف الإسلامية قم ط/١ ١٤١١هـ ص٥٩
١٨. ((قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ))سورة التوبة الآية :٧٠
١٩. يوسف الآية : ٩٧
٢٠. يوسف الآية :٥٥
٢١. سورة البقرة الآية :٢٤٣
٢٢. سورة الفجر الآية :١٤.٧.
٢٣. (أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ)سورة المؤمنون الآية: ٧٠
(يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) سورة سبأ الآية :١٣
٢٤. (قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ)سورة التوبة الآية :٢٩
٢٥. (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ، وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ) سورة الكافرون الآية (١، ٣،٢)
٢٦. (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) سورة آل عمران الآية :٥٢
٢٧. قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) الآية ٨٧ سورة هود
٢٨. يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) سورة المنافقون الآية ٨
٢٩. (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) المائدة الآية :٦٧

وقول الرسول (ص) (من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ـ شواهد التنزيل للحسكاني ١/ ٢٥١ وتاريخ بن كثير ج٥ ص٢١٠ .

٣٠. المائدة الآية (٣)

٣١. يا ايها الناس إني تارك فيكم الثقلين ما تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض .

٣٢. قرب الإسناد ٢/٦ وسنن الترمذي ٥/ ٦٣٥ ج٣٧١٧ والمستدرك للحاكم ١٣٩/٣ وشرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٨٢/٤ وكنز العمال ١٠٦/١٣ ح ٤٦٣٤٦

٣٣. النساء ٨٠.

٣٤. (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً) سورة الأحزاب الآية ٢١

٣٥. (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ، وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ ، وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ، وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ )سورة البقرة الآية : ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٦

٣٦. راجع الغيبة للشيخ الطوسي مؤسسة المعارف الإسلامية قم ط/١ ١٤٤١ هـ

٣٧. الغدير للأميني دار الكتاب العربي بيروت ط/ ١٣٩٧٤ ١٩٧٧م

٣٨. راجع المعجم الكبير للطبراني طبعة دار إحياء التراث العربي نشر مكتبة ابن تيمية القاهرة ط/٢ ٩/ص٥٣٩

٣٩. معاني الاخبار للصدوق :٢٢٦

٤٠. البقرة ٣٨ـ ٣٩

٤١. (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ )سورة يوسف الآية {١١١}

٤٢. الكافي ج٤ ص ٢٩

٤٣. (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ) التوبة الآية ٢٥

٤٤. كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ، يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ، وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ، لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) ( سورة الأنفال الآية:(٥،٦، ٧،٨)

٤٥. راجع المجلد الثالث ص٥٩٥ خ٢٠٣ كتب معاوية نسخة واحدة الى عماله بعد عام الجماعة (أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته)

٤٦. نفس المصدر روى أبو الحسن علي بن محمد أبي سيف المدائني كتب معاوية الى عماله في جميع الأفاق أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة ، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه ، فأتوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم ، واكتبوا ملي ما يروي كل رجل وأسمه واسم أبيه وعشيرته.

٤٧. راجع كتاب النطق والإجتهاد للسيد شريف الدين الموسوي

٤٨. البقرة الآية :٧٩

٤٩. التوبة الآية :٣١

٥٠. المحاسن للبيرقي :١/ ٢٤٦ ح٢٤٦ باب الوعد والوعيد ، تفسير العياشي محمد بن مسعود العياشي المكتبة العلمية الإسلامية ٢/ ٨٢

٥١. حلال محمد حلال الى يوم القيامة وحرامه حرام الى يوم القيامه .

٥٢. تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/١ ط/١ مكتبة الحرم المكي ط/١

٥٣. النص والإجتهاد لشرف الدين الموسوي ١٤١ح ١٨٨

٥٤. الكامل في التاريخ لإبن الأثير ج٣ص٢٤ وشرح النهج لإن أبي الحديد ج١٠٧/٢ وتذكرة الحفاظ بترجمة أبي بكر ج١ص ٢ـ٣

٥٥. النجم الآية :٣ـ٤

٥٦. الحاقة الآية ٤٤ـ٤٦

٥٧. المائدة الآية :٦٧

٥٨. سير أعلام النبلاء الذهبي ٨٠/٨ مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة ٩ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣ م.

٥٩. تاريخ الخلفاء جلال الدين السيوطي :١٩٩ الطبعة /٢ دار الكتاب العربي ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٦٠. شرح نهج البلاغة ٣٦/١١ طبعة دار الكتب العلمية الطبعة /١ ١٣٧٨ هـ ١٩٥٩م.

٦١. مقدمة بن إسحاق تحقيق الدكتور سهيل زكار

٦٢. تاريخ الطبري ٦٦/٥ بن جرير الطبري دار المعارف بمصر

٦٣. راجع الأسطورة البينية السيد مرتضى العسكري ط/١ ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣م المجمع العالمي لأهل البيت (ع)

٦٤. آل عمران الآية :١٦٣

٦٥. (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) سورة ص الآية: ٢٦

٦٦. محاولة بن خلدون في تاريخه فقد حرف قول الرسول لما نزل قوله تعالى ((وأنذر عشيرتك الأقربين)) الفرقان الآية : ٢١٤ دعا عشيرته وقرابته من بني هاشم ، وطرح عليهم الاسلام وجاء في كلامه صلى الله عليه واله معهم اني جئتكم بخير الدنيا والاخرة وقد امرني الله سبحانه وتعالى أن أدعوكم اليه فأيكم يؤازرني على هذا الامر على أن يكون أخي ووصي وخليفتي فيكم . يقول ابن خلدون في هذا الحديث فجمع بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون على طعام صنعه لهم علي بن ابي طالب بأمر رسول الله فدعاهم الى الاسلام ورغبهم وحذرهم وسمعوا كلامه وافترقوا ونلاحظ هنا حالة البتر الواضح لكلام الرسول (ص) وإلغاء فقرات تطابقت مصادر التاريخ على اثباتها .تاريخ ابن خلدون ج٢ص٤١٢ ط بيروت .

٦٧. مقدمة المؤلف

٦٨. مجلة المنهاج العدد ٩

٦٩. راجع حياة محمد الطبعة الثالثة عشر محمد حسين هيكل :١٤١ـ١٤٢

٧٠. خصائص أمير المؤمنين للنسائي في ص٤٦ وشرح النهج ج١ ص ١٠ وشواهد التنزيل ج٢ ص١٨٣ .